أوراق رهبانيّة، السنة ٢٣، العدد ٦٧ (تˈ) ٢٠٠١، ص. ١٥-٢٨

«لِيُقَدَّس اسمك»

الأب أيوب شهوان

١) مقدمة

تنبع القداسة من مصدر واحد هو اللهُ، ويساهم السلوك الحسن والعبادة الحقة في تجليّها الجذّاب وفي جنى ثمارها الشهية. وبالرغم من أن مصدرها واحد، فإنها ذات تشعبات عدة، كما النور المتدفّق من الشمس.

«القداسة» صفة إلهية، وجزء من طبيعة الله، ولكنها مفقودة في العالم الذي هوت به الزلة إلى العدم (تك ٣)، وبالتالي إلى فَقْدِ الملء الإلهي الذي منه كان كل ما كان (يو ١:١-٣ و١٤ و١٦). هي موقوفة أساسًا على الله، لا ينالها البشر سوى بجودٍ منه، وإلاّ لبقيت ممتنعة المنال، وحلمًا لا يرى النورَ إلاّ في الشعور والخيال.

لقد صار هتاف السارافيم الذي دوّى في هيكل أورشليم - وكان الشاهد والسامع أشعيا النبي (أش ٦:٣) - أحد مكوّنات صلاة الكنيسة، التي رددت عبر الأجيال ما تراءى من مجد الله، ألا وهو أنه «قدوس، قدوس قدوس!»

وتعلن الطقوس المسيحيّة أنّ المسيح «وحده قدوس» (رج لو ١:٣٥؛ مر ١:٢٤؛ أع ٣:١٤؛ ٤:٢٧)، وتفرح الكنيسة بأبنائها «القديسين» (في ٤:٢١؛ أع ٩:١٣؛ روم ١:٧؛ أف ١:٤؛ ٥:٣؛ كول ١:٢٦؛ ١ تس ٣:١٣؛ ١ بط ١:١٥؛ رؤ ١٦:٦؛ ١٨:٢٤)، وتكرّمهم، وتفخر بهم، لأنهم انطبعوا بصورة الله وصاروا على مثاله، أو تدعوهم لأن يكونوا «قديسين»؛ كما أنها تُسبغ صفةَ «القداسة» على أسبوع آلام الرب، وعلى الكتب الملهمة، وعلى الأماكن والأدوات والملابس الخاصة بالله، أو الجماعة العابدة، أو

الاحتفالات الطقسية. وتشمل «القداسة» أيضًا مفهومَي المقدَّس والطاهر، ولكنها تتجاوزهما، لأنها من الله اللامحدود، وليست من نتاج ابن الإنسان المحدود.

المسألة اللاهوتية الأساسية هي أن الإله القدوس يرغب في أن يكون له تضامن مع بشر خطأة يعيشون في عالم ساقط. ولأن الله لا يستطيع أن يصبح أقل قداسة من أجل أن يتضامن مع البشر، على هؤلاء أن يرتقوا ويكونوا «قديسين»، أو «مقدَّسين». لكن، بعد أن تُكتَسَب القداسة، قد تتناقض لفتور (رؤ ٣:١٦)، أو خمول، أو انصياع إلى الميول (رج روم ١:٢٤؛ كول ٣:٥؛ بط ٢:١٠)، أو أنها تُطعَن بسبب الاتصال بما هو محرَّم، وهذا ما يدعوه الكتاب المقدس «التنجّس» (رج لا ٥:٣؛ ١٤:٥٧؛ عد ٥:١٩؛ ١٩:١٣؛ ٢ أي ٢٩:١٦؛ حز ٢٢:١٥؛ ٢٤:١٣؛ ٣٦:١٧ و٢٥؛ ٣٩:٢٤ مي ٢:١٠ زك ١٣:١؛ روم ٦:٩)، بالإضافة إلى الشعور، أو التفكير، أو العمل بطرق حرّمها الله، الأمر الذي يؤدي إلى الوقوع في «الإثم». لذلك، الفكرة الأصلية التي وراء موضوع القداسة هي «الانفصال» وما يستتبعه من التزامات صريحة وصادقة.

٢) المسألة اللغوية

بطريقة سريعة واختصار نقول بأنه، في العهد القديم، يُعَبَّر عن «القدوس» بكلمات مصدرها من الجذر العبري والساميّ «قَدَش»[١]، والتي من بينها الأكثر استعمالاً: «قُدِشْ» (٤٦٩ مرة)، «قَدُشْ» (١١٦ مرة)، و«مِقْدَشْ» (٧٤ مرة)، الخ. يظهر الجذر العبري «قدش»، أي «قدَّسَ»، الذي يشير إلى القداسة، في صيغة فعل، واسم، وصفة، حوالي ٨٥٠ مرة.

---

١) راجع
"Holy", in the *Collogeville Pastoral Dictionary of Biblical Theology* (Stuhlmueller, ed.; The liturgical Press: collogeville, Minnesota 1996) 430ss; in the W. Gesenius, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament* (Clarendon Press: Oxford 1979) 871ss; N.Ph. Sander & I. Ternel, *Dictionnaire hébreu-français* (Slatkine Reprints: Genève 1979) 633ss.

إذًا، يشتق اللّفظ السامي «قُدِش» الذي يعني «الشيء المقدّس» و«القداسة»، من مصدر يفيد بأن هناك نوعًا من «القطع» أو «الفصل»، ويوحي بفكرة ما هو منفصل عن الاستعمال العادي. فـ«الأشياء المقدّسة»، مثلاً، هي تلك التي لا يجوز لمسها أو الاقتراب منها إلا بمراعاة بعض شروط خاصّة بالطهارة الطقسيّة (أنظر خاصة سفر اللاويين).

توحي كلمة «قداسة» بالسرّيّة، والزخم، والجلال، لأن ما فيها هو فائق الطبيعة، وهي تثير بالتالي شعورًا مزدوجًا من الرهبة والجاذبيّة (راجع مثلاً أش ٦)، يجعل الإنسان يعي صغر شأنه أمام هذه المظاهر ذات الطابع الإلهي، كما الآفاق الواسعة ليدخل في عالم القداسة.

٣) في العهد القديم

يعرض الكتاب المقدّس مسألة طبيعة القداسة المرتبطة بسرّ اللّه، وباشتراك البشر فيها، فتتّخذ هذه القداسة أوّلاً طابعًا خارجيًّا بالنسبة إلى الأشخاص والأماكن والأشياء التي تجعلها «مقدّسة»، من ناحية، وتصبح حقيقيّة وباطنيّة بموهبة الروح القدس، من ناحية ثانية، مما يُفسِح في المجال لأن تنتشر المحبّة التي هي اللّه نفسه («الله محبة»، ١ يو ٤:٨)، وذلك بانتصارها على الخطيئة التي تحول دون إشعاع قداسته.

يثير الوقوف في حضرة الله (رج أش ٦٤:١)، الآخَر، الممجَّد والعظيم، مشاعرَ مهابة ورهبة (رج أي ٣٧:٢٤؛ ٢ صم ٦:٩)، واندهاش (رج لو ٢٤:٣٧-٣٨؛ دا ٨:٢٧)، وحياة (رج مز ١٠٤:٣٠؛ أف ٢:٥). عبر تاريخ إسرائيل، كانت القداسة هي التي تؤمّن الديناميكية الأساسية لعلاقة إسرائيل بالرب، القدوس الجالس على عرش السماوات (رج رؤ ٤:١٠؛ ٤:١٩؛ ١٢:٥)، الكائن العظيم (رج أي ٣٦:٢٦؛ مز ٤٨:١؛ ٧٦:١؛ ٧٧:١٣؛ مل ١:١١)، والمجيد (رج مز ٢١:٥؛ ٧٢:١٩؛ ٩٧:٦؛ أش ٦:٣؛ ٥٩:١٩؛ ٦٠:٢؛ لو ٩:٢٦)، والمختلف بالكلية، ولكن القريب بأفعاله الخلاصية

المتواصلة بثبات.

أوحى الله «القداسة» لتكون صفته الأولى (خر ١٥:١١؛ ١ صم ٢:٢؛ أش ٣:٦؛ رج رؤ ٨:٤)، وشاء أن يكون أتباعه «قديسين» (خر ٢:١٩؛ ٣٠:٢٢؛ تث ٢١:١٤): «كونوا قديسين، كما أني أنا قدوس» (خر ٢:١٩؛ لا ٤٤:١١–٤٥؛ رج ١ بط ١٥:١–١٦). كان على بني إسرائيل إذًا أن ينفصلوا عن العالم، لأنهم «مملكة كهنوتية وأمّة مقدسة» (خر ٦:١٩؛ رج ١ بط ٩:٢)، مما يُلزمهم بأن يحدّوا من اتصالهم مع ما هو نجس، ويلتزموا بوصايا العهد الموسوي. لحظت الشريعة ذبائح للتكفير عن الخطايا (لا ٥:٥ ي)، وطقوس تطهّر لإزالة أية نجاسة (لا ١٤).

٣/ ١) يُظهر اللهُ القدوسُ قداستَه كي يُقَدَّس ويُقَدِّس

ليس بمقدور الإنسان أن يدنو من قداسة الله (أش ٥:٦٥؛ ا تي ٦:١٦)، حتى ولو «خلع نعليه من رجلَيْه» (خر ٥:٣)، لأن الله هو من يتنازل ويدنو بقداسته من بني الإنسان. ولن يتمكن الإنسان من أن يتعرّف على القداسة، ما لم «يقدِّس» اللّهُ أولاً ذاتَه، أي أن يُظهر ذاته قدّوسًا بإعلان مجده. يكشف عن قداسته في عمل الخلق، وفي عمله الخلاصي. إنه الخالق الذي يملأ الأرض كلّها من مجده (عد ٢١:١٤؛ أش ٣:٦؛ ٩:١١)، غير أنّ الإنسان لا يستطيع أن يراه ويعيش (أش ١:٦–٥؛ خر ١٨:٣٣–٢٣). لكن «قدّوس إسرائيل» (أش ٢٣:٢٩؛ ١٥:٤٣؛ ٧:٤٩) يغدو لشعبه الذي اتّحد معه بالعهد (أش ٢٠:١٠؛ ٧:١٧؛ ١٤:٤١–٢٠) فرحًا وقوّة وسندًا وخلاصًا وفداء. فقداسة الله إذًا ليست انفصالاً وسموًّا فحسب، بل هي تجلّي ما عنده من غنى وحياة، من قدرة وَجُود، ومن محبة يُغدقها بفيض من أجل قداسة البشر.

٣/ ٢) مشيئة الله أنْ يقدِّسه الإنسان

أدرك الكتّاب الملهمون ما مشيئة الله البعيدة من تقديس الإنسان له، ومن اعترافه بقداسته، واعتباره الإله الواحد الحقيقي، فصوّروها غيرة

على كل ما يمت إلى قداسته بِصِلَة، من الاعتراف به الإلهَ الواحد الحقيقي، وعدم امتهان اسمه القدوس (لا ٢٢:١٢-٨)، وإيمان عميق (تث ٢١:٢٠)، وطاعة للشريعة (لا ٢٢:٣١-٣٣)، ومراسيم خاصّة بالذبائح (لا ٧:١)، وطهارة واجبة للعبادة (لا ٢:١٢-٨)، واحتفال لائق بشعائر الطقوس (لا ٦:٩-٢٣؛ ١ مل ٨:١٠-١٢؛ رج لا ١:١٠-٣؛ ١ صم ٢:١٧؛٣:١١-١٣)، وتسبيح (مز ٩٩:٣-٩)، تؤدي كلها إلى مخافة الله وتقديسه (أش ٨:١٣).

٣/ ٣) يقدِّس اللّه الخليقة عبر إشراكها في قداسته

(١) تكريس من أجل القداسة

بهدف نشر قداسته، اختص الله نفسه ببعض الأماكن (أرض مقدسة، معابد، هيكل)، والأشخاص (كهنة، لاويين، أبكار، نذيرين، أنبياء)، والأشياء (تقدمات، ثياب وأشياء خاصّة بالعبادة)، والأزمنة (سبوت، سنون يوبيليّة)، تكرّس له بواسطة مراسيم دقيقة (تقدمات، ذبائح، مسحة، ورش بالدم)، وتكون بالتالي محرّمة على الاستعمال العادي. كل هذه الأشياء مقدّسة، وكلّ هؤلاء الأشخاص أيضًا، فقط بمقدار العلاقة باللّه، علمًا أن طبيعة قداسة الأشياء والأشخاص تختلف عن قداسة اللّه. تنتقل النجاسة عن طريق العدوى (لا ١١:١٣؛ ١٥:٤-٢٧)، أما القداسة فلا تُكتسب تلقائيًّا بمجرّد الاتصال بالقداسة الإلهيّة، بل باختيار حر من قبل اللّه، بحسب شريعته، وبموجب المراسيم التي يحددها. يجب إذًا أن نميّز بين القداسة الحق، وهي خاصّة باللّه، وبين الطابع القدسي الذي يسبغه الله على بعض الأشياء وبعض الأشخاص.

(٢) شعب الله مقدَّس

اختار اللّه إسرائيل من بين الأمم، فأصبح هذا الشعب ميراثًا له، «شعبًا مقدسًا»، بفضل حضوره الفعّال الذي به يسبغ عليه، لا قداسة طقسيّة فقط، بل كرامة حقيقيّة تهبه القداسة الأدبيّة والروحية، التي تشكل الشريعةُ ضمانة لها (لا ٢٢:٣١-٣٣). إن إيمان إسرائيل بالله

«قدوس إسرائيل» (أش ٧:٩) يضمن له الأمان (أش ٤١:١٤–٢٠، ٥٤:١–٥)، والعزّة (أش ٤٣:٣–١٤، ٤٩:٧)، والرجاء (أش ٦٠:٩–١٤)، فيبقى على ارتباط وثيق بالله ينبوع قداسته. على إسرائيل أن يواصل باستمرار تقديس اسم الله من أجل تقديس ذاته، مطهّرًا نفسه من كلّ نجاسة تتنافى مع قداسة الله، ليكون أبدًا أهلاً لمشاهدة مجد الله والاشتراك في عبادته (خر ١٩:١٠–١٥). ولكن، آخر الأمر، هو اللّه وحده مَن يسبغ عليه الطهارة الضرورية للقداسة.

تتجلى القداسة في العدل والطاعة والمحبّة (أش ١:٤–٢٠؛ تث ٦:٩٤)؛ فالأمر القائل: «كونوا قديسين لأني أنا الله قدوس» (لا ١٩:٢؛ ٢٠:٢٦)، لا يعني الطهارة الطقسيّة فقط، بل أيضًا القداسة التي يعيشها الإنسان فعلاً وفق المتطلبات الدينية والخلقية والعائليّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وغيرها.

في عملية التقديس إذًا مسيرة ارتقاء، ولذا لا يدعى «قديسًا» إلاّ مَن اجتاز الامتحان، ويمكنه بالتالي أن يتمتّع بالملكوت النهيوي (دا ٧:١٨–٢٢)، لأنه عرف أن يكون حكيمًا، فعاش في مخافة الرب (مز ٣٤:١٠)؛ إنه واحد من «البقيّة» التي «كتبت أسماؤهم للحياة» (أش ٤:٣).

٤- في العهد الجديد

نظرة العهد الجديد إلى القداسة هي مؤسسةٌ على نظرة العهد القديم إليها؛ فما زال يُنظَر إلى الله على أنه قدوس، ويتطلب أن يقاسمه مَن يعبدونه تلك الصفة (١ بط ١:١٥–١٦). يستطيع الوثنيون واليهود على حدٍّ سواء أن يصبحوا جزءًا من شعب الله ضمن العهد الجديد الذي ختمه المسيح يسوع بدمه (روم ٢:٢٨–٢٩؛ غل ٣:٢٨؛ كول ٣:١١). فالذين قبلوا الإيمان دُعُوا «قديسين» (أع ٩:١٣؛ ١ كو ١:٢؛ يهوذا ٣؛ رؤ ٥:٨). التمييز الموسوي بين «طاهر» و«قدوس» فتح الباب للاعتناء بالسلوك

المكتبة الفاتيكانية

(١ بط ١:١٥)، وبالموقف، وبالفكر (مت ٥-٦؛ ١ كو ١٣؛ غل ٣).

جديد العهد الجديد هو أن الله كشف عن ذاته، كما هو في ذاته، في سر حياته التي شاء أن يوحّدنا بها، إذ جعلنا، هو الآب، أبناء له (رج مت ٥:٤٥؛ يو ١٢:٣٦)، وبالتالي «مقدسين» على مثاله هو «القدوس».

أيامَ حياة يسوع على أرضنا، كانت الشِيَع أو الأحزاب اليهودية، الصدوقيون، والفريسيون، والغيورون، وأسينيُّو قمران، تعمل على تحقيق «القداسة»، كل على طريقتها، قناعةً منها أن هذا سيحول دون نفي الله لإسرائيل ثانيةً، أو حتى جعل الله يعيد استقلال إسرائيل. أما يوحنا المعمدان فبشّر بأنه على اليهود أن يتوبوا عن خطاياهم، وأن يعتمدوا (مت ٣:٢-٦؛ مر ١:٣-٥)، وهي ممارسة محفوظة قبلاً للمرتدّين من الأمم (رج مي ٤:٢؛ أع ١١:١٨؛ ١٥:٣)، وتنبّأ أن المسيح سيحمل تطهيرًا أكبر (مر ١:٤-٨).

«قداسة» يسوع قد بانت جليّةً ومتلألئة من خلال الحبَل به (لو ١:٣٥)، وتأكيد الآب العلني عليها (مت ٣:١٧)، وأعماله (لو ٥:٢٠-٢٤)، وقيامته (روم ١:٣-٤). يُبرِز العهد الجديد يسوع أنه «القدوس»، وينبوع «القداسة» والنقاء. يمكنه أن يجعل أتباعه قديسين (عب ١٣:١٢؛ ١ بط ١:٢؛ رج خاصة ٨:١-٣)، وهو ما فعله الله من قبل (مز ٥١:٧ / مت ٣؛ حز ٢٠:١٢). بعد موت يسوع، علّم أتباعُه أن الله يمنح مغفرة الخطايا («القداسة») لكل من يؤمن به (أع ٢:٢٢-٣٩؛ روم ٣:٢١-٢٦؛ ١ يو ١:٧).

يوسع العهدُ الجديد أيضًا دورَ الروح القدس، فنراه يدين العالم (يو ٦:٧-١١)، و«يقدّس» من يؤمنون بيسوع المسيح (١ كو ٦:١١؛ ٢ تس ٢:١٣؛ ١ بط ١:٢). من هذا المنطلق، هو يشبه ينبوعِ ماء حيّ متدفق، قادر أبدًا على أن ينقي الآخرين ويرويهم. لا يمكن إطلاقًا أن يُجعَلَ الروح ذاته غير نقي (يو ٤:١٣-١٤؛ ٧:٣٨-٣٩).

وعت الكنيسة الأولى أهمية تعاليم العهد القديم في ما يتعلق بالقداسة، فاقتبست الكثير من الأفكار والمبادئ والصور والرموز والمصطلحات. وهكذا، فالله هو الآب «القدّوس» (يو ١١:١٧) القدير المتسامي، والديّان في اليوم الأخير (رؤ ٨:٤، ١٠:٦)؛ اسمه «قدّوس» (لو ٤٩:١) وكذلك شريعته (روم ١٢:٧)، وعهده (لو ٧٢:١)، وملائكته (مر ٣٨:٨)، وأنبياؤه وكُتّابه الملهمون (لو ٧٠:١؛ مر ٢٠:٦؛ روم ١٢:١): «مقدّسٌ» أيضًا هو هيكله وأورشليم السماويّة (١ كو ١٧:٣؛ رؤ ٢:٢١). وعلى الذين اختارهم، هو «القدّوس»، أن يكونوا «قدّيسين» (١ بط ١٥:١–١٦، لا ٢:١٩). أخيرًا، تتجلّى «قداسة اسمه» عند مجيء ملكوته (مت ٩:٦).

٤/ ١) المسيح يسوع هو القدوس

يسوع المولود من العذراء مريم «سيكون قدّوسًا، وابن اللّه يُدعى» (لو ٣٥:١؛ رج مت ١٨:١). قداسته مرتبطة بكونه ابن الله، وبسكنى روح اللّه فيه؛ فلقد حبل به بالروح القدس، وأثناء اعتماده من يوحنّا، نال «الابنُ الحبيب» «مسحة الروح القدس»[٢] (أع ٣٨:١٠؛ لو ٢٢:٣). وعند طرده الأرواح النجسة أعلنت الشياطين أنّه «قدوس اللّه»، أو «ابن اللّه» (مر ٢٤:١؛ ١١:٣ رج يو ٦٩:٦؛ رج مت ١٦:١٦). وإذ «امتلأ المسيح من الروح القدس» (لو ١:٤)، كشف ذاته بواسطة أعماله. فالمعجزات التي قام بها، والتعاليم التي بشر بها، هي علامات تشير قبل كل شيء إلى «قداسته».

ومع أنّ يسوع هو ملك الحياة، والقداسة بالذات (أع ١٤:٣–١٥)، و«عبد الله القدوس» (أع ٢٧:٤ و٣٠)، فقد احتمل الآلام والموت، «ولذلك رفعه الله» (فيل ٩:٢)، إذ أقامه من بين الأموات بحسب روح القداسة (روم ٤:١)، ثم صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الله (مر ١٩:١٦).

على يسوع يُطلَق لقب «القدوس»، كما على الله (رؤ ٧:٣، ١٠:٦)؛ من هنا ضرورة أن نميز بين قداسة المسيح الإلهية، وبين القداسة النسبيّة

٢) فرنسيس البيسري (المطران)، «مسحة الروح القدس»، البشرى، العدد ١٨ (١٩٩٨) ٣٩–٤١.

التي يتمتّع بها قديسو العهد القديم. ولأنّه متّحد مع الآب، ترتبط قداسته بقداسة الله أبيه القدوس (يو ١٧:١١) بعمق سرّي وخفيّ. هو يشرك خاصّتَه في قداسته وفي مجده الذي من الآب: «أقدس ذاتي... ليكونوا هم أيضًا مقدّسين» (يو ١٧:١٩–٢٤).

٤/٢) مَن يؤمن ويعتمد يتقدّس

يشترك المسيحيّون في حياة المسيح القائم من بين الأموات بالإيمان وبالمعموديّة التي تمنحهم «مسحة من القدوس» (١ كور ١:٣٠؛ أف ٥:٢٦؛ ١ يو ٢:٢٠)، فيصبحوا «مقدّسين في المسيح» (١ كور ١:٢؛ فيل ١:١) بحلول الروح القدوس فيهم (١ كور ٣:١٦–١٧؛ أف ٢:٢٢). إنّهم «معمّدون في الروح القدس»، كما سبق وأنبأ المعمدان (لو ٣:١٦؛ أع ١:٥، ١١–١٦). يتقدس المسيحي بالروح القدس الذي يغمر المؤمن بالعطايا والمواهب، علامة تحقيق الأزمنة المسيحانيّة التي تبدأ بقيامة المسيح من بين الأموات (أع ٢:١٦–٣٨). يرتبط حلوله بقبول المعموديّة وبالإيمان بسرّ المسيح الذي مات وقام من بين الأموات (أع ٢:٣٨؛ ١٠:٤٧، ١٩:١–٧). يرى بولس الرسول أن المفتدين هم «هياكل الروح القدس»، و«هياكل اللّه» (١ كور ٦:١١ و٢٠؛ رج ٣:١٦–١٧)، وأنّهم في شركة حقيقيّة معه (٢ كور ١٣:١٣). وكما أنّ «جميع الذين ينقادون إلى روح الله يكونون حقًا أبناء الله» (روم ٨:١٤–١٧)، فالمسيحيّون هم أبناء الله، يحملون دومًا «القداسة» في ذواتهم.

٤/٣) بالمسيح يسوع نتقدس

إذا كانت صفة «قدّيس» نادرة الاستعمال في العهد القديم، لاقتصارها على مختاري الأزمنة الأخيرة، فإنها على عكس ذلك في العهد الجديد، حيث تدل على المسيحيّين، بدءًا بأعضاء الجماعة الأولى، وبخاصّة الجماعة التي حلّ عليها الروح القدس يوم العنصرة (أع ٩:١٣؛ ١ كو ١٦:١؛ أف ٣:٥). شملت صفة القداسة لاحقًا الإخوة الذين في

اليهوديّة (أع ٩:٣١-٤١)، ثمّ جميع المؤمنين (روم ١:٢،١٦، ٢: كور ١:١، ١٢:١٣) الذين، بالروح القدس، اشتركوا في قداسة الله. يكوّن المسيحيّون بالتالي «الأمّة المقدّسة»، و«الكهنوت الملوكي»، و«الهيكل المقدّس»[٣] (١ بط ٢:٩؛ أف ٢:٢١)، السالكين «بحسب القداسة الآتية من لدن الله» (٢ كو ٢:١٢؛ رج ١ كو ٦:٩-١١؛ أف ٤:٣٠ إلى ٥:١؛ تيط ٣:٤-٧؛ روم ٦:١٩)، عالمين في الوقت عينه أن عليهم أن يواصلوا نموَّهم في القداسة استعدادًا لمجيء الرب (١ تس ٣:١٣؛ أع ٢٢:١١). هكذا يتقدس بهم اسم الآب، ويُمجَّد الربّ يسوع في قديسيه (٢ تس ١:١٠، ٢:١٤)، وهكذا يتمّ بلوغ غاية سرّ إشراك الإنسان في قداسة الله.

٥) «لِيُقَدَّس اسمُك»[٤]

تضجّ عبارة «لِيُقَدَّس اسمُكَ» بالمعاني اللاهوتية والخُلُقية العديدة، تستوقف اللبيب والفَهِمَ والحكيمَ، فيغوص صامتًا في السر المصون، ويغرقُ فيه بشغف وحب وحرارة لا يدركها إلاّ مَن تنشّق عبير «جبال الطيوب» (نش ٨:١٤)، وعلق على وجنتيه عطرُ مرٍ ولبانٍ (١ أي ٩:٢٩؛ نش ١:٣؛ ٤:١٤)، خلّفته قبلات مقدسة يفوح أريج طهارتها حتى أقاصي المعمورة.

بالاستناد إلى المفهوم السامي، يمثّل الاسمُ الشخصَ. هكذا يعبّر «اسم» الله عمَّا هو الله بالنسبة إلينا، فيصبح هذا الاسم نوعًا من الرمز الذي يدل على سواه، مع وجود صلة مشتركة بين الاثنين. فاسم «يهوه» هو رمز يكشف عن سرّ كيان الله الذي لا يُدرَك، وليس عمّا هو في ذاته، وعمّا يشاء أن يكون من أجل شعبه، أي حضورًا فاعلاً وخلاصيًا، قادرًا ومُحِبًا.

(٣) جورج اسكندر (الشمّاس)، «١ قور ٦/١٩ أو ما تعلمون أنّ أجسادكم هيكل الروح القدس»، نشرة الأرمن الكاثوليك، ٣-٤ (١٩٩٧) ٨٨-٩٣.

٤) بولس الفغالي (الخوري)، إنجيل متّى: **بدايات الملكوت**، الجزء الأول (دراسات بيبلية ١٤؛ المطبعة البولسية ١٩٩٦) ٣٢١-٣٢٣.

٥/ ١) في التوراة

في ما يتعلق بموضوع «قديس اسم الله»، تحتوي التوراة على منجم غنيّ بالمعرفة الصافية، وبالمعلومات الوافية، التي، إن سبر الباحثُ غورَها، «أخرج منها طريفًا وتليدًا» (مت ١٣:٥٢). فالله «يُقَدِّسُ اسمَه» – أو «يتقدس اسمُه» – حين يجلو هو قداستَه، كما جاء في سفر العدد: «أَظهرَ لهم قداستَه في ما بينهم» (عد ٢٠:١٣)، حين أبان لهم رفضه القاطع لحلول الخطيئة في وسطهم وسيادتها عليهم، من جهة، وطول أناته تجاه عصيانهم وتمردهم، من جهة ثانية، مواصلاً إظهار قداسته على عيونهم وعلى عيون الأمم جميعها، حتى يلمّ شعبه ويجمعه (أنظر حز ٢٨:٢٢ و٢٥؛ ٣٨:١٦ و٢٣؛ ٣٩:٢٧).

يقرُّ الإنسانُ بـ«قداسة الله» حين «يقدّس اسمَه»، إنْ بالقناعات أو بالمبادئ، الباطنية منها والمعلَنَة، وإنْ عَبْرَ الشعائر الدينية المعبِّرَة عن روح العبادة، وتأدية واجب التمجيد والمديح والسجود، والطاعة لوصاياه، والأمانة لمتطلّبات الحياة التي يريدها الله، والكمال الذي يدعو إليه (مت ٥:٤٨؛ ١ كو ١٠:١؛ ١٤:٢٠؛ يع ١:٤). أمّا التمرّد على الله فيؤدّي مباشرةً إلى طمس قداسته، لكن فقط على عيون الناس: «لقد تمرّدتما عليَّ، يا موسى وهارون، ولم تُظهرَا قداستي» (عد ٢٧:١٤)؛ «خالفتماني في ما بين بني إسرائيل، ولم تُظهرَا قداستي في ما بينهم» (تث ٣٢:٥١). عندما تكون مخافة الله في القلب وفي السلوك، يتقدّس اسمُ الله، كما فعل الآباء والأنبياء والبقية المخلصة؛ جاء في أش ٨:١٣ ما يلي: «قَدِّسِ الرَّبَّ القدير، وليكن هو خوفَك»؛ وفي أش ٢٩:٢٣: «يقدِّسون اسمي كما قدَّسه يعقوب»؛ هذا ما يتحوّل إلى إظهار لقداسة الله ولسموّه، وإلى تمجيده وإكرامه.

٥/ ٢) عند الأنبياء

لقد تعدّى إسرائيل شريعة الرب ووصاياه (رج خر ١٦:٢٨؛ أش

١٨:٤٨؛ دا ٩:٥؛ عز ٩:١٠؛ مز ٣١:٨٩)، ولم يلتزم بالتالي بمقتضيات اصطفاء الله له، وبَتّ عهدٍ معه (إر ١١:١٠؛ ٣٢:٣١؛ حز ٧:٤٤)، فـ«نجّس اسم الرب» أمام عيون الأمم (حز ٣٩:٢٠؛ ٢٠:٣٦؛ رج إر ٣٠:٧؛ ٣٤:٣٢)، ممَّا حدا بالأنبياء إلى إطلاق الصرخة تلو الأخرى، تحذيرًا وتهديدًا، إرشادًا وتقويمًا، فقال حزقيال، مثلاً:

«أقدّس اسمي العظيم الذي دنّستموه في الأمم، فتعرف الأمم أني أنا الرب، حين أُظهر قداستي فيكم على عيونهم. وآخذكم من بين الأمم، وأجمعكم من كل البلدان، وأجيء بكم إلى أرضكم. وأرش عليكم ماءً طاهرًا، فأطهّركم من جميع أصنامكم وما به تنجستم، وأعطيكم قلبًا جديدًا. أجعل في أحشائكم روحًا جديدًا، وأنزع من لحمكم قلب الحجر، وأعطيكم قلبًا من لحم. وأجعل روحي في أحشائكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي، وتعملون بها. وتسكنون في الأرض التي أعطيتها لآبائكم، وتكونون لي شعبًا، وأكون لكم إلهًا» (حز ٢٣:٣٦-٢٨؛ أنظر ٤١:٢٠؛ ٢٢:٢٨-٢٦؛ ٢٣:٣٨؛ ٢٩:٣٩؛ أش ٢٣:٢٩).

نتبيّن من كلام حزقيال النبيّ توجُّهًا مسيحانيًا واضحًا، بسبب أن «تقديس اسم الله» يتماهى في الحقيقة مع مجيء المسيح ومع تحقيق ملكوت الله. فالإنسان المشوّه الصورة، والذي لا بهاء له بسبب الخطيئة، لن يكون إلاّ عاجزًا عن النهوض بمفرده وبقواه الذاتية، وبالتالي لن يحقق له ذلك النهوض سوى المسيح المنتظر، الذي «سيعرّفه اسمَ» (يو ٢٦:١٧) الله – «فتعرفون أني أنا الرب» (يؤ ١٧:٤) – ويردّ إليه القداسة.

٥/ ٣) في الصلاة الربية

تتضمّن الصلاة الموجّهة إلى الله الآب،«قُدِّسَ اسمُك»، تقديسَ الآب بالذات. فقداسة الله هي منه وليس منّا، ولكنها له ولنا.

ليس في الأمر إضافة على قداسة الله، ولا صفةً نسبغها عليه، أو طبيعةً نركمها فوق جوهره الأزلي، ولا أيضًا نقصًا فيه نُزيلُه بجودٍ منّا

نفيضه عليه. لنوضح مضامين هذا الفعل المنسوب إلينا، والذي هو، في الحقيقة، انتساب إلى قداسة القدوس وحده.

إن لعبارة «لِيُقَدَّس اسمك» (مت ٦:٩؛ لو ١١:٢) مثيلاً في التقوى اليهودية، حيث يتلو اليهودي يوميًا صلاة الـ«قَديش» (أي «قدوس») التالية: «ليُقَدَّس اسمك العظيم في العالم الذي خلقته، ليسُدْ ملكك، فينبت الخلاص، ليقترب مسيحك، فيفتدي شعبك».

يسوع، هو قدوس الله (مر ١:٢٤؛ لو ٤:٣٤؛ أع ٣:١٤؛ ٤:٢٧)، وقد كرّسه الآب ليتمّ قصده، بذل ذاته لكي يقدس كنيسته (يو ١٧:١٩؛ أف ٥:٢٦؛ عب ٩:١٣؛ ١٠:١٠ و١٤ و٢٩؛ ١٣:١٢).

أتمّ الروح القدس عمل الابن، وأقام فينا (غل ٤:٦؛ يع ٤:٥) عبر حضور يكرسنا هياكل للروح (رج ١ كو ٦:١٩؛ أف ٣:٢١)، ويعضدنا (روم ٨:٢٦؛ رج مز ٥١:١٢) لكي نعطي ثمار (غل ٥:٢٢) القداسة التي يتمجد بها الآب (١٦:٥؛ ١٥:٨).

بهذا تُبنَى الكنيسة، النسل المقدس (رج أم ١١:٢١؛ أش ٦٥:٢٣؛ أع ١٧:٢٨ و٢٩؛ ١ بط ٢:٩)، وشعب الله الجديد (١ بط ٢:٥)، والمملكة الكهنوتية (رؤ ٥:١٠) التي تنضم عبادتها الروحية إلى ليتورجية المسيح والكنيسة في السماء، فتعلن بلا انقطاع قداسة الله (رؤ ٤:٨).

فالقداسة الإلهيّة إذًا ليست عبارة عن انفصال وسموّ فحسب، وكأن الله يهوى العزلة، بل هي تتضمّن كلّ ما عند الله من غنى وحياة، من قدرة وَجُود، ومن محبة يُغدقها بفيض. وليست القداسة صفة إلهيّة بين صفات أخرى، بل أكثر من ذلك: إنها الصفة الأساسيّة التي تميّز الله نفسه، ولذا فاسمه «قدّوس» (مز ٣٣:٢١؛ عا ٢:٧؛ رج خر ٣:١٤)، وهو يُقسم بـ«قداسته» (عا ٤:٢). وتعكس المصطلحات اللّغوية ذاتها هذا اليقين، إذ تعتبر اسمَي «الله» و«القدوس»، لفظتين مترادفتين (مز ٧١:٢٢؛ أش ٥:٢٤؛ حب ٣:٣).

ويُظهر اللهُ قداستَه حين يشرك الإنسانَ فيها، محوّلاً إيّاه من جديد إلى «صورته ومثاله» (تك ١–٢)، «جاذبًا إيَّاه إليه» (يو ١٢:٣٢)، بعد انجذاب قتّالٍ في اتجاه انحطاطي معاكس، رافعًا إيَّاه بالتالي إلى المستوى الإلهي. إن الانتماء من جديد إلى الله يعني بذات الفعل الانفصال – كما الله – عمَّا هو نقيضه، عمَّا هو دَنِسٌ ونَجِسٌ.

٥) خاتمة

يشكل الالتزام بالإقرار بقداسة الله، والعكوف على السير بحسب شريعته المقدسة، تنفيذًا لأمره القائل: «كونوا قديسين، لأنّي قدوس أنا» (لا ١١:٤٤)؛ «فاحفظوا وصاياي، واعملوا بها...، ولا تدنّسوا اسمي القدوس، فأتقدّس في ما بين بني إسرائيل، أنا الرب الذي قدّسكم» (لا ٢٢:٣١–٣٢).

مراجع

جورج اسكندر (الشمّاس)، «١ قور ٦/١٩ أو ما تعلمون أنّ أجسادكم هيكل الروح القدس»، **نشرة الأرمن الكاثوليك**، ٣–٤ (١٩٩٧) ٨٨–٩٣.

فرنسيس البيسري (المطران)، «مسحة الروح القدس»، **البشرى**، العدد ١٨ (١٩٩٨) ٣٩–٤١.

بولس الفغالي، **إنجيل متّى: بدايات الملكوت**، الجزء الأول (دراسات بيبلية ١٤؛ المطبعة البولسية ١٩٩٦) ٣٢١–٣٢٣.

بولس الفغالي، «قداسة شعب الله قداسة الكنيسة»، **حياتنا اللّيتورجيّة**، السنة الثانية، العدد ١٢، ص ٩–١٣، شهر تشرين الثاني.

«قداسة»، في **معجم اللاهوت الكتابي** (بيروت: دار المشرق ١٩٧٤) ٦١٩–٦٢٣.